تمثلات الهوية القومية الكردية في الحكاية التراثية مم و زين

حلم الدولة وتحديات التشكل

أ.د. ابتسام حاتم علوان

dr.ebtisam_h2016@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية – كلية العلوم السياسية

أ.د. خالدة حاتم علوان

khalidahatem22@gmail.com

الجامعة العراقية – كلية العلوم الاسلامية

تأريخ أستلام البحث: ٢٠٢٥/٤/١ **تأريخ موافقة النشر:** ٢٠٢٥/٤/١٠

مخلص:

ينصرف مضمون هذا البحث الى بيان دور الأدب الكردي – الروائي تحديداً – في التأسيس لتشكيل دولة كردستان الكبيرة ، وتحديد عوامل التحقيق وأسباب الفشل ، والتركيز على تأريخ الشعب الكردي والفخر به بوصفه تأريخا يؤكد العمق الحضاري لذلك الشعب ، ويأتي اختيار الحكاية التراثية (مم وزين) بوصفها الانموذج الأمثل لفهم الهوية القومية والثقافية للشعب الكردي وخصوصيته، لذلك ستقسم الدراسة على أربعة مباحث - إنطلاقا من ثالوث الهوية القومية – ممثلا بثلاثة مباحث ،وتحدياتها ممثلا بمبحث واحد ،فضلا عن المقدمة التي تتناول الرواية الكردية في سياقها التاريخي، سيتناول المبحث الأول جغرافيا السرد معادلا لعنصر الارض ، فيما سيتناول المبحث الثاني جماعة الأمة الكردية المتخيلة بما يضمه من خصوصية الجماعة بثقافتها وعاداتها وتقاليدها ولغتها معادلا لعنصر الشعب/الأفراد، فيما يتناول المبحث الثالث سرديات الأمة الكردية معادلا للتاريخ ، فيما سيتناول المبحث الرابع التحديات التي تواجه الهوية القومية الكردية ممثلة بالصراع السياسي والنزاعات الداخلية بحسب ما يعرضه المتخيل الحكائي.

الكلمات المفتاحية : الهوية القومية الكردية ، جماعات الأمة الكردية المتخيلة ، سرديات الأمة الكردية .

مدخل ..... في مفاهيم الهوية القومية الكردية والرواية الكردية

يعود الوجود التاريخي للكرد الى فجر التاريخ الذي قسم تلك الاقوام الى فئتين ، فئة شعوب جبال زاكروس وفئة الشعوب الهندو – اوربية (الاكراد 2025) ، اذ تمتد منطقة الكرد من البحر الاحمر إلى الخليج العربي مشتملة على مناطق من دول أربع هي العراق وسوريا وتركيا وإيران ، ويقدر عدد سكان كردستان بما يقارب ثمانية وعشرين مليون نسمة(العساف 2010, 41) ، تربطهم لغة كردية – وإن اختلفت لهجاتها - ، وفي ظل معطيات الواقع الجغرافي يمكننا الحديث عن أمة كردية لها تاريخها الحضاري والوجودي فالأمة الكردية " عرفت ... لا على أساس انتمائها الديني ، وإنما بكل مقوماتها القومية وثقافتها المتميزة(احمد 2003, 24)".

ولما كانت القومية Nationalism توصف بـانها "مذهب سياسي قوامه إيثار المصالح القومية في كل شيء، فإما أن يظهر هذا الإيثار في منازع الافراد ، وإما أن يظهر في منهج حزب سياسي يناضل في سبيل قومه ، ويدافع عنهم ويعتز بهم "(صليبا 1994, 205) ، فلقد تشكلت القومية الكوردية وفق معطيات الصراع الوجودي مع انظمة الدول التي تضم مساحات يسكنها الشعب الكوردي بعقيدة راسخة بوجود أمة كوردية يجمعها وعي وشعور بالانتماء الواحد والمصير الواحد والأهداف الواحدة وتطمح إلى حكم نفسها ، وبهذا يصح عد القومية الكوردية – بحسب رؤية ارنست غلينر لمفهوم القومية - نموذجا للشرعية السياسية في إقامة دولة موحدة ، وإمكانية فشلها في ضم كل اعضاء أمتها بفعل الحدود المصطنعة - على الرغم من اختلاف ثقافة بقية الاكراد في الدول المتجاورة - التي نجحت في إعاقة تحقيق الوحدة القومية للأكراد.

والحديث عن القومية الكردية يقودنا إلى تعريف الدولة القومية الكردية فهي الدولة التي طالبت بتشكيلها الاحزاب السياسية الكردية التي نشأت بفعل تطور الإحساس بالهوية بدءاً من حركات النضال بما فيها من انتفاضات وثورات بسبب المظالم التي تعرض لها الشعب الكوردي وصولا إلى التشكيل السياسي المعترف به والذي ينادي بقيام دولة كردستان الكبيرة التي تضم مناطق تواجد الشعب الكردي في العراق وايران وسوريا وتركيا ، ولما كان خطاب الهوية القومية يعتمد على مشروع سياسي أساس يستند إلى ترسيخ فكرة المشتركات بين الأفراد ، فلقد كتبت الحكاية التراثية (مم وزين) من هذا المنطلق وهو ما أكده مترجم الحكاية في افتتاحيتها مؤكدا على الوجود التاريخي للأمة الكردية مشيرا الى اهم شواهدها الثقافية المتمثلة في حكاية(مم وزين) التراثية ، اذ جاء في مقدمة الحكاية وعلى لسان مترجمها إلى العربية (محمد سعيد رمضان البوطي) في معرض تأكيده على خطاب الهوية الكردية – واصفا أهمية الحكاية التراثية التاريخية بعدها مرتكز الفكر القومي الكوردي قائلاً " انها صفحات قد غشاها الظلام من حولها ، ولم يلتقطها التاريخ إلا وهي مطلية ،بالغبار المتكاثف .. غبار عزّ على هذا الشعب حتى اليوم أن يجلوه عن حياته ، انه غبار الاضطهاد والظلم اللذين أحاطا به منذ تاريخ طويل في سبيل تطلعه الى بعض حقوقه وحريته التي ينبغي أن يركن الى فيئها ككل أمة تعيش على هذه الأرض"(البوطي ،5) اذ تبرز نبرة المطالبة بتحقيق العدالة وحق الحرية وتقرير المصير ، فكتبت الملحمة لتمثل احد اشكال الانطولوجية الكردية ، فضلا عن رفض ممارسات الظلم والقهر التي تعرض لها ابناء هذه الأمة ، وفي كل ما سبق فلقد جاءت الملحمة لتمثل حائط الصد لمحاولات طمس الهوية القومية الكردية ، فكانت بحق تحفة الادب القومي الكردي ، والذي ستنطلق الدراسة فيه من سؤال رئيس مفاده: كيف تمثلت الهوية القومية الكردية في حكاية(مم وزين) التراثية؟ وهو السؤال الذي يقودنا الى الحديث عن الرواية الكردية التي تأخر ظهورها بسبب اختلاف الثقافات السائدة في مناطق كردستان ونعني بها مناطق العراق وسوريا وتركيا وايران ، اذ " اختلفت الالفباء الكردية نتيجة للوضع السياسي للكرد من جزء الى جزء من كردستان ، ففي العراق وايران استخدم الكرد الحروف العربية ، فيما اعتمد الكرد في تركيا وسوريا الالفباء اللاتينية التي وضع أسسها الأمير جلادت بدرخان"(باشا 2001, 76) ، وعدا عوامل الاختلاف الثقافي المتمثل باللغة ، فلقد عانت الرواية الكردية من عوائق النشر ووجود كتاب يتبنون الكتابة بهذا الجنس الفني ،وإجمالا فلقد مرت الرواية بمراحل وتحديات عدة ،اذ تعرض الأدب الكردي في بداياته وتحديدا الرواية الى محاولات كثيرة في محاولة طمس الهوية الكردية واللغة ، ولما كنا نبحث في أولية ظهور الرواية الكردية بلغتها القومية ، فلاشك ان حكاية(مم وزين) التراثية التي كتبت كقصيدة شعرية مطولة وحولت لاحقا الى كتاب نثري في جنس فني أقرب إلى الروائي ، كانت أولى الروايات الكردية التي استوفت لشروط الكتابة تاريخيا ولاسيما في فترة الصراعات التي

شهدتها المنطقة بين الدولتين العثمانية والصفوية لكن تأخر ترجمتها غبن مكانتها الادبية بوصفها تراثا كرديا أصيلا يضاهي الشاهنامه الفارسية والف ليلة وليلة العربية وداده كوركوت التركية ، واجمالا فان الرواية الكردية تدين في بداياتها الى مجلة هاوار التي نشرت اجزاء من الروايات الكردية ، فضلا عن ترجمة تلك الروايات التي تناولت ثيمة الهوية الكردية وموضوعاتها – وان لم تكن بهذا النضج الفني – اذ كانت رواية (الراعي الكردي) التي صدرت بالروسية اولا عام 1931 ثم ترجمها مؤلفها الى اللغة الكردية عام 1935 (الرواية الكردية) نموذجا لتلقي هذا الجنس الادبي .

وعن اشكالية البحث فأنها تدور حول سؤال رئيس هو (كيف تمثلت الهوية القومية الكردية في الحكاية التراثية(مم وزين) ؟ وما الأدوات التي وظفها المؤلف للتعبير عن هذه الهوية؟) ، وفيما يتعلق بأهداف الدراسة فأنها تكمن في الآتي: تحليل النص الأدبي لفهم كيفية تصوير الهوية القومية الكردية، والكشف عن الرموز الثقافية والسياسية التي تعبر عن الهوية القومية الكردية، أما أهمية الدراسة فيمكن تحديدها في الآتي : المساهمة في فهم أعمق واوسع للأدب الكردي، والكشف عن دور الأدب في تشكيل سرديات الأمة الكردية، فضلا عن الكشف عن امكانية الأدب في تقديم قراءات معاصرة تتعلق بموضوع حيوي كموضوع الهوية واسقاطه على نص تاريخي تجاوز انتاجه ما يقارب (333) عام ، أما منهجية البحث فلقد اعتمدت المزاوجة بين مناهج عدة منها المنهج التحليلي والمنهج التاريخي ومنهج ما بعد الكولونيالية اذ ان الرواية تعد محاولة اعادة كتابة تاريخ الشعب والأمة الكردية .

المحور الأول: جغرافيا السرد

لما كانت الهويات السائدة تقوم على مجموعة عناصر أهمها اللغة والتاريخ والأهداف، فضلا عن المساحة الجغرافية ، فلقد أصبحت هدفا للتجزئة من قبل الهويات المتصارعة معها وهو ما يدخل في بحث العلاقة بين المكان الجغرافي وسلوك أفراده ، وتحديداً تأثير البيئة على السلوك السياسي ورد فعل الأفراد في حالات الصراع (الشاهر 2024 , 11) ،

اذ يشكل (تصميم الخارطة الوطنية) (ديب 2014) لدولة كردستان في المتخيل الفني أهم مرتكزات تشكُّل الوعي العام في خلق مشتركات للفرد بالوطن المتخيل وتاريخه ، فلقد اشار الراوي في المفتتح النصي للحكاية إلى زمان ومكان الأحداث مركزا على جمال طبيعة "بلاد الكرد" فهو يقر منذُ البداية بالبلد – بوصفه تشكيلاً قائماً - بكل ما يحيله المعنى الى السيادة والاستقرار والاعتراف بوجود الشعب والنظام الحاكم ، اذ يقول " حدث ذلك في حوالي العام 1393 م في جزيرة (بوطان) المعروفة اليوم باسم – جزيرة ابن عمر – تلك التي تقع على شاطئ دجلة ، وتمتد في اتساع شاسع بين الهاب والتلال الخضر الواقعة في شمال العراق، واسم هذه الجزيرة يتألق في مقدمة ربوع كردستان التي يمتاز معظمها بقسط وافر من جمال الطبيعة وبهائها ، اذ تتشعب بين ريض طبيعية بديعة ، وينعكس اليها من سائر اطرافها بريق دجلة الذي يحف بمعظم جهاتها ، كما يزيد في روعة جمالها جبالها الشاهقة في جو السماء ، التي تفاخر في علوها العجيب وفتنتها الخضراء معظم جبال العالم ، وتنتشر من حولها سر الخلود وآيات الجمال ... وكانت بلاد الكرد آنذاك وما بعد ذلك العصر الى أواسط عهد العثمانيين منقسمة الى عدة إمارات ، يتولى ادارة كل منها أمير يتمتع بالجدارة والقوة"(البوطي ,10) إذ يشير الراوي بدءاً الى حدود الدولة المتخيلة فيحددها في عبارة (ربوع كردستان) في مناطق جغرافية فقط والتي تضم العراق - وهي أولى مناطق تشكل الدولة

/الحلم - وتركيا وسوريا وإيران – أي أنه يركز على الروابط التاريخية والثقافية التي تجمع شعوب تلك المناطق ممهدا لعناصر تشكل الدولة ، فيما نلاحظ توظيفه لمصطلح (بلاد الكرد) وهو مصطلح لاشك أعم من مصطلح (كردستان) ، إذ أنه يشير إلى كافة المناطق التي طالبت الحركات الكردية على مدى تاريخها والاحزاب السياسية الكردية إلى ضمها ضمن حدود الدولة الكردية ، فاذا كان المصطلح الأول يشير الى مفهوم الاستقلال الاقليمي - أي الانتظام في اقليم حكم ذاتي - ، فإن الثاني يشير إلى المفهوم الجغرافي الأوسع للدولة التي يحاول أفرادها الاستقلال والحصول على الاعتراف الدولي .

ومن حدود دولة الاكراد إلى مواردها ، إذ ركز المؤلف على ما تتمتع به الدولة من مقومات تمنحها إمكانية الاستقلال والاعتماد على نفسها ، إذ اشار الى الموارد الاقتصادية التي ستساهم في تحقيق الناتج القومي للدولة ، فأكد على الموارد الطبيعية التي تمثلت بالغابات ومساحاتها الواسعة والثروات الحيوانية ، وهو ما اشار إليه الراوي ضمنا في ثيمة مسابقة الصيد التي اطلقها الامير في ربوع الجزيرة فقد " اطلق منادي الامير .. يعلن في شتى أطراف الجزيرة عزم الامير على الخروج الى الصيد .. وان على كل صاحب قوس أو نبل ، أو ساعد وعزيمة ان يكون في ركاب الأمير في تلك المباراة التي سيتولى الاشراف عليها والمشاركة فيها. .. تدفق كل اعيان الجزيرة ووجوهها وذوي البأس والمراس فيها ... وسرعان ما انتشر الجميع بين تلك الاودية والآكام ، وغابوا متفرقين في شعاب الجبال ، كل يبحث عما يستطيع أن يفاخر به غيره في المساء فربما كان نصيب هذا أسداً كاسراً أو نمراً عاتياً .. وربما كان نصيب ذاك غزلاناً بديعةً .. وربما جاء آخر بأشكال نادرة من الطيور والحيوانات ، وربما ظهر فيهم من تلقف من كل صنف ونوع"(البوطي , 68) ، ففي معنى ابعد يشير النص الى إمكانية الدولة على تحقيق الأمن الغذائي ، فضلا عن إن الصيد يشير إلى معنى الترف الذي يعيش في ظله المجتمع الكردستاني .

كما يعمد الروائي إلى ربط وفرة الثروة الحيوانية بطبيعة المكان والوفرة المائية حين اكد على الطبيعة الساحرة التي تشكل وجهة سياحية قوية ، اذ يأتي وصف الراوي لتلك الطبيعة في وسط اجواء احتفالية – في سياق رحلة الصيد ذاتها - ، كأن الطبيعة تبارك خطوات الأمير/ كناية عن القيادة السياسية ، فتمنح الوقت جمالية مضاعفة في تلك المناطق، فيصفها الراوي بالقول " كان ذلك في يوم شمسه مشرقة وسماؤه صافية ، قد ازدانت فيه الطبيعة بأبهى حلة وأبدع وشي، تلاقت فيه بهجة الزمان بابتسام الخمائل والورود الرياض تتألق بسندس أخضر وتخفق بنسمات فواحة بالعبير ، والربا أكاليل زمردية فوق جبين الطبيعة نثرت في أطرافها يد الخلاق أبدع ألوان الزهر ، والجبال الشم قد نسجت حول قممها الخضر آيات خالدة من الجمال والجلال تتطلع الى عظمة ذلك الجبار الذي ارساها وأقامها، والأودية غاصة بأشجار باسقة ... وعيون المياه تنساب من كل ذلك في اشراق وبريق " ولا تخفى اشارة الروائي إلى رمزية عناصر الطبيعة وجمالها الذي يشير إلى صفات الشعب الكردي وقيمه الثابتة ، وكذلك يتضح حرص الروائي على حركية الصورة في اشارة الى ثبات واستمرار الفعل/ مناسبة الصيد بكل احالاتها السياسية والاجتماعية والثقافية بدليل توظيف الأفعال المضارعة التي تدل على الحركة ، فضلا عن قدسية الخلق التي منحها الخالق استثناءً لتلك المنطقة ، وهو ما يدخل في خصوصية التشكيل الجغرافي الذي انعكس على شخصية أبناء الأمة الكردية.

المحور الثاني : جماعات الأمة الكردية المتخيلة

إذا كان الفضاء القومي يتشكل بوصفه مجتمعا يجمع أفراده الاعتراف بالقواعد الأخلاقية والأعراف (عبد القادر 2025) ، فلاشك أن أفراده / بوصفهم الفواعل الأساس الذين يتحركون في ذلك الفضاء الذي يضم أزمنة الجماعة الماضية والحاضرة وبذلك يمكن عد الإثنية الكوردية هي المفهوم الأدق والأقرب لوصف الأمة الكوردية انطلاقا من تعريف (انتوني كدنز) للإثنية بوصفها الوعي المشترك لأفراد الجماعة لهويتهم التي تميزهم عن الجماعات الاخرى (الضياع 2009, 736) ، وهو ما يحيل إلى مفهوم المجتمع المتخيل – بحسب بندكت اندرسون – حيث تعد الرواية بمصطلحاتنا المعاصرة احدى أهم وسائل خلق المجتمعات السياسية ، - وفي الحكاية قيد الدراسة - ولما كان الفضاء الذي يجمع الشخصيات الفواعل الاساس/ أي الجماعة (وهما مم وزين) كناية عن وحدة الشعب الكردي ، قد أطر بمسحة صوفية والتي تمثلت في لقائهما صدفة في حديقة القصر وهما في أشد حالات الاعياء الذي سببه لهما الغرام ومن ثم الدخول في أغماءه قصيرة ، فلقد اشار الروائي إلى ان امكانية قيام الدولة هو شيء صعب ، لكنه ليس مستحيلا ، اذ يصف ذلك اللقاء بالقول " ولم تكن سوى دقائق حتى لاح لعيني زين – وهي لا تزال في مكانها عند ساق الشجرة – شبح ممو على البعد ، قادما من بين الأغصان ..! وكانت المفاجأة شديدة على نفسها ... وكانت الفرحة أكبر من قلبها.. فما أن أخذت تحدق النظر فيه لتتأكد أهو خيال من خيالات أوهامها ، أم معجزة حققها الله لها ، حتى غرب الاحساس وطمت عليها الدهشة ، ووقعت مغمى عليها بين تلك الحشائش والاشجار.. أما ممو فانه أخذ يسير ... إلى ان وجد نفسه فجأة امام جثة فتاته ممتدة فوق تلك الحشائش .. حتى دارت الأرض من حول رأسه دورة بددت كل ذرات شعوره ، وألقته في يم من الغشية والنسيان ، وهوى صريعا على مقربة من جثة زين" (البوطي , 72) ، فعبر تقنية الغرائبية في بنية الحدث بوصفه الاقرب الى المعجزة ، تتضح أمنية الروائي في قيام الدولة /لقاء الحبيبين .

وما يسجل للحكاية التراثية وتأكيدها لفكرة الهوية القومية انها لم تنفِ الآخر وتختزله في صفة معينة ، إنما أكدت حالة التعايش مع الآخر ،وهو ما يعكس حالة الدبلوماسية التي تنظم العلاقة مع دول الجوار ، فضلاً عن تأكيده لمعاناة الذات الكردية في محاولة اثبات وجودها وهو ما اتضح في سياق وصف المترجم لتلك الحالة - وهو معطى خارج نصي – أكد وجود أفراد أمة مؤمنة بفكرة الاستقلال فيقول "إن المعجزة التي أجلتها الدنيا بأجمعها هي أن شيئاً من هذه العواصف التي أقيمت واثيرت من حوله لم تقو على كتم صوت هذا الشعب أو خنقه، وإنما قوي على شيء واحد فقط، وهو أنه أثبت للعالم كله أن هذه الأمة تتمتع بجلد لا يستخذي وصبر لا يضعف وإباء لا يتراجع ، وحسبها ذلك دليلاً على أنها خلقت لتحيا .. ولن تموت . تحيا سعيدة ، متعاونة مع جيرانها من الأمة العربية ، في ظلال من العدالة والإخاء والتناصر، تجمعهم مبادئ مشتركة وأهداف واحدة" ، فهي حالة تأكيد وجود الذات ووجود الآخر أيضا وتنظيم طبيعة العلاقة بينهما وفقا لمصالحهم الأساس.

كما نجد محاولة الراوي الإشارة الى طبيعة ذلك المجتمع المتخيل في أجواء الطبيعة الساحرة للبلاد في مسحة صوفية تؤكد البعد الديني/الروحي للناس ومن خلفهم الروائي قائلا " تراهم خليطا متضاربا من شتى الطبقات والاشكال والاتجاهات ، قد امتزج فيهم الغني والفقير ، وتحاذى الصغير والكبير ، وتلاقى المثقف والجاهل ، فيهم العاشق الذي جاء ليغمر جراح قلبه بكؤوس من خمر النسيان.. وفيهم الشاعر الذي أطرق خاشعا يرنو الى الفتنة الحالمة ، يستوحي منها آيات الالهام ، وفيهم الفيلسوف الذي أسرته الحيرة وملكه الذهول ، فهوى ساجدا لخالق هذا

السحر والجمال " (البوطي ,16) ، فالراوي يحاول ان يوضح طبيعة المجتمع الكوردي بوصفه – كأي مجتمع – خليط من اتجاهات متضادة متعاكسة سواء ما تعلق منها بالأيديولوجيا أو الطبقات الاجتماعية .

ومن طبيعة المجتمع وتركيبته إلى نمط الحياة بما فيها من تقاليد وعادات ، اذ يركز الراوي على تقاليد تلك الجماعات بوصفها موجودة وتمارس طقوسها الخاصة بأفرادها ، وهو ما يدخل في صلب توكيد الهوية الثقافية ، لذلك عمد الى تقديم طقوس الزواج التي عرف بها الاكراد ، منها وصف موكب زواج الاميرة (ستي) من (تاج الدين) ، فيقول " انبعث من قصير الأمير موكب يتهادى من وراء صفين من الخيول المزينة ، موكب يزدان بأفخم مظاهر الجمال . عشرات من الوصيفات والجواري يتمايلن في ابدع أنواع الزينة والحلي ، تتوسطن غادتين ...من ورائهن عشرات الغلمان الذين أفرغت عليهم كأس الزينة بأنواعها ، يحملون أطباقا متألقة ملئت بالحلوى والنفائس والتحف"

كما و أشار المؤلف الى طبيعة الشخصية الكردية المتمسكة بالقيم والاخلاق والشرف والغيرة ، وهو ما أكد عليه الراوي في أكثر من موضع من الرواية، اذ أشار الى أهم الصفات التي يتمتع بها الأمير الكوردي (زين الدين) وهي الغيرة على أختيه الاميرتين (ستي وزين)، وهي كناية عن صفات الشعب الكوردي عامة فلقد أشار الراوي إلى تلك الصفة في معرض وصفه لحمال الأميرتين مركزا على صفة الغيرة قائلاً " لولا ان الشعب الكردي عامة وأولي الزعامة فيهم خاصة غرست في طبيعتهم غيرة ملتهبة لا تكاد تفارق جوانحهم ، مما يجعلهم يتحرجون من اختلاط الجنسين الا بمقدار...هذا الى أن شقيقهما الأمير كان قد أوتي مزيداً من هذه الغيرة بين جانبيه ..، وزادها ما كانت تتمتع به أختاه من ذلك الجمال النادر الذي أبى الا أن يذيع اسميهما في الجزيرة كلها وفي معظم البلاد الأخرى" (البوطي , 12)

ويمثل التركيز على صفات الشخصيات الرئيسة بوصفها نموذجاً للجماعة المتخيلة ومنها صفة الوفاء للصداقة – بل وتمجيدها لدى الشخصية الكوردية - ، فلقد عمد المؤلف الى توضيح طبيعة العلاقة بين (تاج الدين) و (مم) فبعد لقائهما ابان انتهاء مراسم الزفاف " ظل الصديقان برهة من الوقت يتبادلان التهنئة والمصابرة ، هذا يهنئه من كل قلبه ويشعره بفرحة فؤاده من أجل سعادته ، وذاك يواسيه ويحمله على الصبر ، ويبشره بقرب وصاله هو أيضاً .. الصديق ... ؟؟؟؟ الا ما أثمن الصديق الذي يتسع قلبه المحروم للابتهاج بسعادتك ، ويقيم وراء صدره المكلوم عرسا يوم فرحك"

ولما كان الاحتفاء بالهوية الثقافية أهم ممارسات تأكيد الهوية التي هي جزء لا يتجزأ من الهوية القومية الكردية ، فلقد أكد المؤلف على خصوصية الاعياد القومية ، وتحديدا عيد النوروز / عيد الربيع فللسنة الجديدة خصوصيتها في الوجدان الكوردي ، ومن ذلك وصف الراوي للإحتفال بذلك العيد الذي أكد على كونه عادة سارية للشعب الكوردي فلقد " كان الوقت أصيلاً ، والناس يودعون يوم 20 مارس (اذار) ليستقبلوا من ورائه ربيع سنة جديدة ، وكانت أعمالهم وحركات طرقهم وأسواقهم قد اتخذت مظهراً لنشاط جلي غير معهود ، فقد كان عليهم جميعا أن يتهيئوا ويستعدوا للخروج مع صباح اليوم الثاني إلى ظاهر المدينة. ويقضوا بياض نهارهم فوق المهاد الخضر الوارفة ، وعلى ضفاف دجلة وفي سفوح تلك الجبال ، وذلك جريا وراء تلك العادة السارية في جميع انحاء كردستان من الإحتفال في ذلك اليوم بشروق الربيع ويومه الجديد"

المحور الثالث : سرديات الأمة الكردية

تشمل السرديات الكبرى كافة المرويات المتعلقة بجماعة من الجماعات منها الدينية والحضارية والتاريخية ، يمكن وصفها بالمرويات الثقافية اجمالا وهي تتركز في استمراريتها وبقائها على الذاكرة الجماعية ، - وبحسب جان فرانسوا ليوتار – فأنها - أي السرديات الكبرى - غالبا ما ترتبط بأيديولوجية دينية او نظريات كبرى(حسان 1994) ، من هنا يمكن تعريف السرديات القومية بوصفها "قصص تعرف الجماعة من حيث انها نمطية ، وتؤثر على شكل السيرة الشخصية وتتوغل باعتبارها معرفة لتمثل اداة ذهنية لتفسير الاحداث" (عبد الكريم 2024, 148) اذ ترتكز سرديات الأمة - في عنصر النمطية - على القصص الاسطورية المتناقلة التي تقوم على ثيمة النزاع والصراع بين البطل وخصومه وهو ما يجعل القارئ متماهيا مع بطل الأمة الاسطوري بقيمه وأهدافه (عبدد الكريم 2024, 152)، وهو ما يؤسس لاحقا لتاريخ جماعي قائم على المتخيل والاسطورة ، فضلا عن الحكايات الشعبية ، اذ أكد الراوي على أهمية الحكايات الشعبية في الموروث الكردي وهي قصة الأمير (خسرو) وحبيبته(ليلى) التي عرفت بقصة (تاج خسرو وليلى) التي تعد من روائع الموروث الشفاهي الكوردي ، وتظهر جانبا مهما من الهوية الثقافية الكردية وهي التمسك بالشرف والاخلاص والتضحية ، اذ اشار اليها الراوي في حديث المربية العجوز (هيلانة) وهي توضح للأميرتين تكامل العلاقة بين الرجل والمرأة ، فتستشهد بالقصة المعروفة لتاج خسرو وليلى قائلة " من الذي – يا بنيتي – يصدق أن المرأة يتم جمالها الا اذا كان الرجل هو مرأة ذلك الجمال ، ومن الذي يصدق أن الرجل يمكن ان يكون لجماله معنى لو لم تأت المرأة لتضع فيه ذلك المعنى؟ وهل أثبت جمال ليلى وفتنة حسنها لو لم ينعكس اليها تاج " خسرو" وسلطانه!! (البوطي, 29)"

كما وتمثل الحكاية التراثية (مم وزين) إحدى سرديات الأمة الكردية حيث تفاعل القراء مع الأبطال التي اكتسبت قصة حبهما بعدا اسطوريا ، وكل ذلك بفضل اللغة الكوردية التي عدت أهم مجال للتواصل القومي بين أفرادها ، فهي التي رسخت صورة الماضي القديم وأعادت بعث أمجاده من جديد ، وهو ما صرح به المؤلف / الشاعر في جعل الحكاية سفرا خالدا لثيمة الحب الصوفي الكوردي قائلاً " سألبس كلا من هذين الحبيبين ثوباً مطرزاً من بياني ، ثم أرفعهما الى أوج التاريخ فليخلدا وليخلد صدى زفراتهما مدى الدهر والحياة، ثم ليمر من أمامهما كل مستعرض وناظر، فليبكِ أناس حرمانهما واحتراقهما، وليفتتن آخرون بلطف (زين) وجمالها"

وفضلا عن ذلك فلقد مثل صبر (مم) في السجن إحدى سرديات الصمود والمقاومة والثبات على المبادئ وهو ما أكسب الحكاية التراثية بعدا عقائديا أصيلاً ولاسيما في قوة مواجهة الظلم والاضطهاد ، فهذه القوة مستمدة من طبيعة الجبال في بلاد الكرد ، اذ تمثلت المقاومة في وصف الراوي لحال (ممّ) مرتبطة ببعد ديني وعناية إلهية وكأنها مباركة لهذا الشعب ، قائلا " وهكذا أخذ يهبط الى قلب مم ، وهو في قعر تلك الموحشة ، أنس الهي يحف به ويخفف من آلامه وأحزانه ، بعد أن انقطعت صلته من المخلوقين واستبد به اليأس منهم ... وأخذ جسمه يهبط الى الرقة والذوبان بينما أخذت روحه تشب نحو القوة والطوق ... وانطلقت روحه نحو الانتعاش والقوة"،

وتمثل الوحدة والتضامن في موقف (ستي) مع أختها وموقف (تاج الدين)واخويه مع (مم) أهم تجربة جماعية للأمة الكوردية - بوصف القراء قد تماهوا مع الشخصيات الرئيسة في الحكاية التراثية - ، اذ تمثل تضامن ستي في وقوفها في وجه اخيها وتذكيره بواجباته تجاه أختهم الصغرى (زين) فوبخت الأمير قائلة " ماذا دهاك أيها الظالم

...؟ ألم يشف غيظك كل ما أنزلته بهذه البائسة من ألوان العذاب حتى قتلتها وسفكت دمها ، وقد كانت ماضية بحالها الى طريق الفناء والموت..؟"(البوطي , 99)

اما تضامن تاج الدين واشقائه فتمثل في مواضع كثيرة في الحكاية ، منها ردع حراس الأمير عن قتل (مم) ، فـ " قبل أن ينقض الحرس على ممو ، هب من عرض المجلس ثلاثة أبطال أشقاء، كل منهم هامة، وساعد ، وقامة، وقد ظهر في يمين كل منهم خنجر يلتهب ، وراح أوسطهم وهو تاج الدين يصعق في اولئك الشرطة الذين بادروا إلى مم .. قائلا : مكانكم أيها الأوغاد ، فلستم سكارى ولا مجانين حتى تتجاهلوا بطشنا ! أم انكم نسيتم ذلك الكثير الذي لاقيتموه من أيدينا ...؟ ربما تستطيعون الوصول الى مم ، ولكن بعد أن نحقن ما حوله بلجة من دمائكم ، واتخذوا اليه جسراً من مئات منكم"، ففي النصين السابقين تشير دلالة التضامن الى عد ستي وتاج الدين نموذجا للرموز الثقافية الكوردية التي كانت محركة للأحداث الرئيسة ، بوصف موقفهما معبرا عن هوية وطنية حاولت جمع أفراد الأمة والحفاظ عليهم.

واجمالا فقد جاءت هذه الحكاية التراثية بوصفها نموذجا للسرديات الكبرى للأمة الكوردية لحفظ ذاكرتها الجمعية التي تشكل هذه الحكايات أساسا لبناء هويتها المتناقلة عبر الأجيال .

المحور الرابع : التحديات التي تواجه الهوية القومية الكوردية والدولة

كان للموقع الجغرافي الذي تتمتع به مناطق كردستان اثره في قيام امارات كوردية كثيرة اعتمادا على الواقع الاقليمي المجاور بما يشهده من ضعف وانحطاط ، فضلا عن وعي أنظمة الدول التي تضم مساحات واسعة من كردستان كالعراق وسوريا وإيران وتركيا لهدف الأمة الكوردية في لم شملها وتأسيس دولتها الخاصة بالشعب الكوردي التي تشكل خطرا – بمنظور تلك الدول – على مساحات تعتقد انها تابعة لها جغرافيا (حامد 1992 , 29) ، وعلى " الرغم من إن الكرد يعيشون مقسمين فيما بين حدود سياسية مصطنعة وتحت أنظمة لا تمثل مصالحهم القومية ، فانهم لا يزالون يعتبرون أنفسهم تحت اصطلاح Netewe جزءاً من أمة واحدة" (احمد 2003, 20)، وفي الحكاية – قيد الدراسة - فلقد تمثلت التحديات التي واجهت تشكيل دولة الكرد في نوعين من الأسباب ، داخلية وخارجية ، اذ تمثلت الأسباب الداخلية بالآتي :

1- الفتن الداخلية بين الأمراء والقادة في الإمارات الكوردية والتي يمكن مقاربتها بالمصطلحات المعاصرة بالنزاع الداخلي : اذ تمثلت في الحكاية في محاولة الحاجب (بكر) إيغال صدر الأمير (زين الدين) ضد نسيبه الأمير (تاج الدين) ، حين حاول الحاجب زرع بذور الفتنة بينهما فأخذ يحرضه ضد تاج الدين مدعيا نصحه بالقول " أليس يدري مولاي من هو تاج الدين؟ إنه ذلك المعتز بنفسه ، مغرور برأسه حتى قبل أن يحظى من مولاي بهذا العطف... فكيف وقد نفح غروره اليوم ؟ وإن أشد ما أخشاه والله يا مولاي أن يكون هذا الرجل يهدف من وراء استبداده الطائش إلى غرس نفوذه ونفوذ ذويه في رحاب القصر عن طريق المناسبة والمصاهرة، ليعلم بعد ذلك الإمارة لنفسه، ويسلسلها من لدن أبائه وأجداده" (البوطي , 55)
2- ثورات التمرد الداخلي أو الانتفاضات التي حاول القادة من خلالها الاطاحة بالأمراء بسبب بعد الهوة او المسافة بين الإمراء والشعب ، وهو ما شكل مؤشرا على الظلم الذي يتعرض له افراد الشعب ، الذي

تمثل في الحكاية في محاولة (تاج الدين) واصدقائه إنقاذ وإخراج صديقهم (مم) من السجن ، اذ قرروا إيصال رسالة إلى الأمير يعرضون عليه شروطهم ، إما اطلاق سراح صديقهم (مم) او الدخول في حرب معه تشعل الجزيرة كلها ، اذ يقترح (تاج الدين) فكرته على اصدقائه قائلاً "علينا اذا أردنا أن يعود ممو الينا أن نبادر مع صبح الغد فنرتدي دروعنا، ونشتمل سيوفنا ،ثم يستوي كل منا على جواده ، فننطلق بالحراب والسنان نهزها، ونستدر بها وحدها عطف الأمير ، ليطلق سراح ممو، فإن رقق ذلك من قلبه وقضى مرادنا فذاك .. والا أعلنا حرباً مستعرة هوجاء عليه وعلى كل من ستثكله أمه من اتباعه وبطانته... ولتصبح بوطان حلبة لرقصة الموت ، فأما شققنا غبار ذلك كله إلى ممو فأنقذناه برماحنا وسواعدنا ، واما لحقنا به وعانقنا معه الموت والردى" (البوطي , 93)

3- إنعدام الثقة بين الأمراء وفقد المصداقية بين الطرفين ، الذي تمثل في الملحمة في رد فعل الأمير تجاه تمرد تاج الدين واصدقائه محاولة النكث بوعوده لهم التي قطعها على نفسه أمام الشيخ الذي حاول ابلاغ الأمير بمطالب تاج الدين ، اذ يوضح الراوي عدم صدق الأمير في وعوده قائلاً " أما الحديث الذي قاله للشيخ ، فلم يكن شيء منه صادراً عن أعماق نفسه، وإنما أرسله مجاملة فقط .. لتخمد ثورتهم ، ويرجعوا عما عزموا عليه من إثارة الفتنة والحرب، اذ كان يعلم ان قيام ثورة عليه من قبل تاج الدين وشقيقيه لن يكون في صالحه ، لاسيما وان لهم شيعةً وأتباعاً كثراً في الجزيرة ، ولذلك القى اليهم بهذا الوعد، ليلهيهم ويتراجعوا عما أجمعوا رأيهم عليه، بينما يصل هو في تفكيره الى حيلة يسبقهم بها الى تدبير الأمر كما يشاء ، ويقطع بها عليهم طريق الثورة والقوة"

وعن السبب الخارجي فلقد تمثل في الحدود المصطنعة التي خلقها الاستعمار البريطاني بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية بين مناطق دولة الكرد ، ولعل اتفاقية سايكس – بيكو (1916) كانت أهم اتفاقية قسمت البلاد الكوردية الى مناطق متعددة بين العراق وسوريا وتركيا (فكري والسيد 2020, 58) وهو ما تمثل في وعي الأمير(زين الدين) اخيراً بعد قتله للحاجب (بكر) الذي مثل تلك الحدود بين مم وزين كناية عن الحدود بين مناطق دولة الكرد ، حين خاطبه الأمير قائلاً " أيها الابليس المزور في لباس انسان ، أيها الثعبان الذي لم ينفث حلقه الا نار الفتنة والدمار. وقفت أصلب باب مغلق بين هذين المسكينين البريئين ، عشت أبلغ كي فوق جراحهما الداميين ، حرمت قلبيهما من نصيب هنائهما في الدنيا ، وحرمتني من إنسان عيني الذي الفه البصر وفؤادي ! ، ايها الكلب العقور، ما وقوفك اليوم على ظهر الأرض بعد أن غيبت خليلي في باطنها ؟"

أما التحدي الأهم الذي واجه الهوية القومية الكوردية، فهي محاولة محوها سواء وجوديا بالقتل ، الذي تمثل في محاولة الأمير (زين الدين) قتل الشاب (ممو) وعدم تزويجه بشقيقته الاميرة (زين) ، فارتباطهما كناية عن قيام دولة كردية يسودها الحب والوئام والاستقرار ، وهو ما يتضح في قول الراوي في معرض حديثه عن نية الأمير قتل ممو حين اعترف للأمير بحبه لشقيقته قائلاً " إنها أميرة هذه الجزيرة !.. وما كاد أن يطلق هذه الكلمة الأخيرة من فمه حتى قاطعه الأمير وقد صوب نحوه فوهة الغضب قائلاً : ولأجل ذلك، فأنت لا تخجل من استطالتك إلى تلك المكانة بالغرام بها ، مدنساً بدناءتك قصري هذا ... ؟ ، ثم التفت إلى الحراس الواقفين على الأبواب وصرخ فيهم قائلاً : ما وقوفكم وانتظاركم بعد هذا ؟ هيا .. فاقطعوا الرأس الذي تطاول فيه هذا اللسان فقد آن أن يعتبر به غيره " فمحاولة قتل الأمير لممو إنما هي عملية إجهاض مشروع الدولة

دون وعي منه، أو عبر تغليب المصالح الشخصية على مصلحة الأمة ، اذ تمثل محاولة القتل وقبلها السجن فقدان الحركة والديمومة وعدم القدرة على التعبير عن الذات - ممثلا برفض رغبة مم وعدم تحقيقها - رمزاً واضحا لتذويب الهوية او محوها، أما ثقافياً عبر طمس خصوصيتها المتمثلة باللغة بدءاً والطقوس والتقاليد وكل ذلك لا يتم الا عبر تجزئة الأمة الكوردية وابقائها في حال تناحر ونزاع دائمين .

النتائج

1- تعد ملحمة (مم وزين) وثيقة تاريخية وثقافية تظهر صراع الهوية والسلطة لدى الذات الكردية .
2- تمثلت عناصر الهوية القومية في رواية (ممو وزين) في ثالوث عناصر القومية (الأرض والناس والقصص) تقابلها (جغرافية السرد والجماعات المتخيلة وسرديات الأمة) .
3- ما يتعلق بالموقع الجغرافي لدولة الكرد فلقد شكل عنصرا رئيسا في تشكيل الهوية القومية الكردية بما يحتله المكان من خصوصية ، اذ يعد الموقع الجغرافي للدولة في الملحمة عنصرا مركزيا فيها – اي الحكاية التراثية - .
4- مثل الموقع الجغرافي رمزا للهوية الكوردية وتحديدا جبال زاكروس وجزيرة بوطان .
5- تعد كردستان منطقة غنية بالموارد الطبيعية والبشرية ، ما يعد عنصرا اساساً من عناصر تشكيل الدولة .
6- ثمة تاريخ مشترك طويل من النضال والثورات والانتفاضات لسكان مناطق كردستان ، وهو أحد عناصر الهوية القومية الكردية ، وأحد مقومات تشكيل دولة الكرد.
7- كانت بلاد الكرد مركزا للصراعات الجيوسياسية بين القوى العظمي ، الأمر الذي أسفر عن تقسيم البلاد إلى مناطق تابعة لأربع دول هي العراق وسوريا وتركيا وإيران وفق معاهدة سايكس – بيكو .
8- تعذر قيام دولة الكرد بسبب الصراعات السياسية الداخلية ، فضلا عن رفض الدول الأربع إعلان قيام تلك الدولة ، الأمر الذي يتقاطع مع مصالح تلك الدول .

المقترحات والتوصيات

1- الاهتمام بالنتاج التراثي – الثقافي ، وعده الانموذج الأمثل الذي يحتفى به في المتحف القومي الكردي .
2- تشجيع الباحثين على دراسة التاريخ الثقافي الكردي ، وتنظيم المؤتمرات العلمية التي تبحث في موضوعات التاريخ الكردي .
3- استغلال الثورة الرقمية ومحاولة توظيف منصات التواصل الاجتماعي في التعريف بالثقافة الكردية وتحديدا النتاجات الادبية .
4- إقامة مشاريع ثقافية مشتركة بين المركز والإقليم تركز على التاريخ المغيب للكرد .

المصادر باللغة العربية

1. احمد, جمال رشيد . 2003. " ظهور الكرد في التاريخ، دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكوردية ومهدها ". . دار اراس- اربيل . ط1.
2. الاكراد .... حقائق التاريخ والجغرافيا https://aaswsat.com
3. البوطي, محمد سعيد رمضان . نسخة الكترونية .
4. الشاهر, شاهر. 2024. "الجغرافية السياسية ". المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية . المانيا – برلين. ط1 .
5. الضياع, فايز.2009. "علم الاجتماع ". المنظمة العربية للترجمة.
6. العساف, فايز عبد الله. 2010. الأقليات واثرها في استقرار الدولة القومية (أكراد العراق نموذجا) . رسالة ماجستير . جامعة الشرق الاوسط. الاردن.
7. باشا, عبد الرحمن. 2001." الرواية الكردية". دار آراس للطباعة والنشر. أربيل. ط1.
8. حامد, محمود عيسى. 1992. "المشكلة الكردية في الشرق الاوسط" . مكتبة مدبولي. القاهرة.
9. ديب, ثائر. 2014. تقديم عزمي بشارة." الجماعات المتخيلة , تأملات في أصل القومية وانتشارها ". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
10. صليبا, جميل . 1994. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية . الفرنسية ، الانكليزية ، اللاتينية . ج2، الشركة العالمية للكتاب- بيروت.
11. عبد القادر , رشا. سرد الأمة ... التحول والثبات ، هومي بابا elaph-com.cdn.ampproject.org
12. عبد الكريم, عبد المقصود. 2024. " السرد والهوية ، مراسلات في السيرة الذاتية والذات والثقافة" . . مؤسسة هنداوي . المملكة المتحدة.
13. فكري, عصام محمد و ابراهيم جابر السيد. 2020. " تاريخ الصراعات على الشرق الاوسط الجديد". دار العلم والايمان للنشر والتوزيع . دار الجديد للنشر والتوزيع . مصر – الجزائر . ط1 .
14. كردي, ازاد. الرواية الكردية من النبذ الى مناخ لنشر الابداع . https://kurd-online.com

المصادر باللغة الانكليزية

1. Abdul Karim, Abdul Maqsoud. 2024. "Narrative and Identity, Correspondence in Autobiography, Self and Culture". Hindawi Foundation. United Kingdom.
2. Abdul Qader, Rasha. Narrative of the Nation... Transformation and Stability, Homi Baba elaph-com.cdn.ampproject.org

3. Ahmed, Jamal Rashid. 2003. "The emergence of the Kurds in history, a comprehensive study of the background of the Kurdish nation and its cradle". . Aras House - Erbil. 1st edition.
4. Al-Assaf, Fayez Abdullah. 2010. Minorities and their impact on the stability of the nation-state (the Kurds of Iraq as a model). Master's thesis. Middle East University. Jordan.
5. Al-Bouti, Muhammad Saeed Ramadan. Electronic copy.
6. Al-Diyaa, Fayez. 2009. "Sociology". The Arab Organization for Translation.
7. Al-Shaher, Shaher. 2024. "Political geography". The Arab Democratic Center for Strategic, Political and Economic Studies. Germany - Berlin. 1st edition.
8. Deeb, Thaer. 2014. Presented by Azmi Bishara. "Imagined Communities, Reflections on the Origin and Spread of Nationalism". Arab Center for Research and Policy Studies.
9. Fikry, Essam Mohamed and Ibrahim Jaber Al-Sayed. 2020. "History of Conflicts over the New Middle East". Dar Al-Ilm Wal-Iman for Publishing and Distribution. Dar Al-Jadeed for Publishing and Distribution. Egypt - Algeria. 1st ed.
10. Hamed, Mahmoud Issa. 1992. "The Kurdish Problem in the Middle East". Madbouly Library. Cairo.
11. Kurdi, Azad. The Kurdish Novel from Rejection to a Climate for Spreading Creativity. https://kurd-online.com
12. Kurds .... Facts of history and geography https://aaswsat.com
13. Pasha, Abdul Rahman. 2001. "The Kurdish novel". Aras House for Printing and Publishing. Erbil. 1st edition.
14. Saliba, Jamil. 1994. Philosophical Dictionary in Arabic Words. French, English, Latin. Vol. 2, International Book Company - Beirut.

Abstract:

The content of this research is directed to the role of Kurdish literature - specifically novels - in establishing the formation of the great state of Kurdistan, identifying the factors of achievement and the reasons for failure, and focusing on the history of the Kurdish people and pride in it as a history that confirms the civilizational depth of that people. The selection of the epic (Mam and Zin) comes as the ideal model for understanding the national and cultural identity of the Kurdish people and its specificity. Therefore, the study will be divided into four sections - based on the trinity of national identity - represented by three sections, and its challenges represented by one section, in addition to the introduction that deals with the Kurdish novel in its historical context. The first section will deal with the geography of narration equivalent to the element of land, while the second section will deal with the imagined Kurdish nation group with what it includes of the specificity of the group with its culture, customs, traditions and language equivalent to the element of the people/individuals, while the third section deals with the narratives of the Kurdish nation equivalent to history, while the fourth section will deal with the challenges facing the Kurdish national identity represented by the political conflict and internal disputes according to what is presented the fictional imagination

Keywords: Kurdish national identity, imagined groups, narratives of the Kurdish nation